

7 وقفات مع مهندسي الحياة



الاثنين 2 ديسمبر 2024 08:00 م

من الذي يمكنه قيادة الآخرين والتأثير فيهم وصناعة الحياة وإحداث طفرات نوعية في واقع الناس؟ سؤال مهم يحتاج إلى تأمل ودراسة وتفكير .
تُرى هل هم أصحاب الشهادات العليا؟ أم هم أصحاب المناصب والجاه والمستويات الاجتماعية الرفيعة؟ أم هم ذوو المال ورجال الأعمال؟
أو ربما هم أصحاب الأجسام القوية والوجوه الوسيمة الجميلة؟ أم أنهم أولئك الذين صقلتهم الأيام وحُكمتهم التجارب؟ أم قد يكونون هم الأذكاء والعباقرة
الأفذاذ؟ أم غيرهم؟
قبل الإجابة عن هذا السؤال نود الإشارة إلى أنه ما من إنسان إلا ويتمنى أن يكون شيئاً مهياً في هذه الحياة، ولو أنك جئت إلى صعلوك لا قيمة له في
الحياة وقلت له: يا صعلوك أو يا تافه، لسبك وشتمك
ولو ناديت جاهلاً قابلاً في ظلمات الجهل وقلت له: يا جاهل، لربما صفعك على وجهك صفة أطارت الشر من عينيك، ذلك لأنَّ مطلب كل إنسان أن يكون له
وزن في دنيا الناس وأن يُعدَّ رقماً صعباً لا صفراً لا قيمة له
إن الإجابة عن السؤال سالف الذكر تحتاج منا إلى تبيان وتوضيح، ويمكن أن يكون ذلك في النقاط السبع التالية:

زكاة النعم

يقول الله تعالى مبيهاً نعمه التي لا تعد ولا تحصى: " وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تُعدُّوا نعمة الله لا تُحصوها إن الإنسان لظالم كفار".
إن الله قد يهب بعض الناس نعمة أو نعماً كثيرة مثل: وجهة، مؤهل أكاديمي، منصب، مال، ذكاء، وسامة، قوة جسدية، أو غير ذلك، وكلما زادت هذه النعم
كلما كان لزاماً على الإنسان أن يؤدي حقها، وحققها بإنفاقها لا بحبسها، أي: باستخدامها لما فيه النفع للآخرين

كنوز كامنة

كل نعمة من النعم سألقة الذكر قد يكون لها تأثير إيجابي كبير في تمكين صاحبها وزيادة تأثيره في الحياة، لذا يحسن بالعاقل استثمارها، وإلا فهي كنوز
كامنة معطلة ينظر إليها صاحبها ولا يتذوق حلاوتها
وفي هذا يقول الله تعالى: " فكلوا ممَّا رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون".

دافع ذاتي

كثير من الناس لا يمتلكون الدافعية الذاتية التي يمكنهم بها تفجير طاقاتهم وتسخير إمكاناتهم لتحقيق واقع مُشرف لهم ولأمتهم، وفي هذا يقول
شوقي:

شباب مُنَّع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحين

ويقول حافظ إبراهيم:

لعلَّ في أمة الإسلام نابتة تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

حتى ترى بعض ما شادت أوائلها من الصُّروح وما عاناه بانيتها

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه فيما عمل
به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه". (رواه مسلم عن أبي برزة الأسلمي)

النجاح الحقيقي

إن النجاح الحقيقي الذي يحق لصاحبه الافتخار به هو ذلك النجاح الذي صنعه هو ببذله وجهده وطول عنائه بعد توفيق الله له، أما الذي يفخر بأجداد آبائه
وأجداده التي ولت وهو لا يصنع شيئاً ولا يستكمل هذه الأجداد أو يضيف إليها ما يحفظها ويرفعها، فهذا مسكين يستحق الرثاء والشفقة، وصدق ابن
هانيء الأندلسي حينما قال:

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

وبالهمة العلياء يرقى إلى العلا فمن كان أرقى همة كان أظهرها

VIP

إن من عدالة الله عز وجل في خلقه أنه لم يجعل الغلبة والقيادة والتأثير وصناعة الحياة حكراً على فئة (VIP) (أو الناس المهمين جداً). وإنما رفع أناساً لم يكن لهم ذكر، وأعزَّ أقومًا لم يكونوا سادة القوم، وقَدَّم نفرًا من الناس كانوا في المؤخرة، وأخرج من بين الضعفاء أئمةً وقادة، إذ الضعيف لا يظل ضعيفًا طول حياته، والقوي لا تدوم قوته أبد الأبد، وصدق الله تعالى إذ يقول: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" [ونمكّن لهم في الأرض ونُريّ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون].

عقدة النقص

إن أسوأ ما يُبتلى به المرء أن يُصاب بعقدة النقص، فيشعر أنه غير مؤهل للتأثير وصناعة الحياة، وأنه ناقص، ولا يمكن له استكمال نقصه وسدّ ثغراته، فيشعر بالدون، ويتبادر إلى ذهنه دائمًا أن غيره أكمل منه وأقدر على قيادة الحياة، ولذلك تراه منطويًا على نفسه، منكسرًا في ذاته، مُكَبَّلًا بأوهامه، عاجزًا عن فعل أي شيء حتى لو كان بإمكانه فعله

ولم أر في عيوب الناس عيبًا كُنقص القادرين على التمام

يقول "كونفوشيوس": إن ما يثير قلقي هو أن لا أحسن في مجالات تفوقي، وأن لا أستفيد من كل ما درسته، وأن أعرف ما هو الشيء الملائم والصحيح ولا أستطيع أن أتغيّر لأحقيقه، وأن أكون غير قادر على معالجة مواطن إخفاقي وعجزتي

تلك كلمة جميلة سكرها الحكيم الصيني "كونفوشيوس"، تحمل في طياتها معاني كثيرة، وتنبئ عن حرص على تغيير الواقع ومعالجة ثغراته، رغبةً في صناعة التأثير وإحداث شيء نافع في واقع الناس

الصدر أو القبر

إن صناعة التأثير إنما تنبع من ذات الإنسان مهما كانت مؤهلاته الأكاديمية أو قدراته العقلية أو منصبه الوظيفي أو مستواه الاجتماعي أو خبرته الحياتية أو جنسه أو سنّه أو إمكاناته المادية أو غير ذلك

إن أمثال هؤلاء نفر لا يقرّ لهم قرار ولا تهنأ لهم حياة حتى يجدوا أنفسهم في المقدمة، ويروا تأثيرهم قد بلغ الآفاق، وعمّ نفعهم هنا وهناك، بل وبصماتهم نُقِشت في واقع الناس، ولسان حالهم يقول:

ونحن أناس لا توسط عندما لنا الصدر دون العالمين أو القبر

بعد النقاط السبع سالفة الذكر يتبين لنا أن إحداث التأثير وصناعة الحياة والنهوض بالأمم والمجتمعات يمكن (بعد توفيق الله تعالى) أن يسهم فيه، بل ويتصدّره، كل إنسان احترم قدراته واعتنى بنفسه وارتفعت همّته وغلّت طموحاته، مهما كانت نواقصه وكثرت ثغراته، فالأمر فيه سعة ولا يحق لنا تضييقه أو تحجيمه